المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب للعالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد:

كتبتُ أربعين (حديثًا في عظمة الله) نال – بحمد الله – قبولًا عند العامة واستحسانًا عند الخاصة؛ و(لابأس بالغالي إذا قيل حسن) وأشار علي بعضهم بشرحه فأجبته إلى طلبه، وحرصت غاية الحرص على إجاعة اللفظ، وإشباع المعنى، ومراعة الحال، والوفاء بالغرض، و(ليس لما قرت به العين ثمن)

ورجوت الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبله بقبول حسن، وينبته نباتا حسنًا إن ربي سميع الدعاء.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

فيصل الحاشدي

مكة ١٤٤٢/٧/٢٥

(١)

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

جاء في «الصحيحين»(١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومن عظمته إِنَّه يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ.

وقول الحبر - وهو العالم عند اليهود - من العلم الموروث عن الأنبياء، ولهذا صدقه ﷺ وأعجبه وسر به، وضحك حتى بدت نواجذه.

(٢)

الأرضُ قبضتُهُ يومَ القيامةِ والسَّماواتُ مطويَّاتٌ بيمينِهِ

جاء في مسند أحمد وغيره بسند صحيح[٢] مِنْ حَدِيث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ «**يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ. أَنَا الْمُتَكَبِّرُ. أَنَا الْمَلِكُ. أَنَا الْعَزِيزُ. أَنَا الْكَرِيمُ**». فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرُ، حَتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ.

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ

فقوله ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي: ما عظموا الله حق تعظيمه، ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه، فقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى: «وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئا.

فسووا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السماوات - على سعتها وعظمها - مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمته من سوَّى به غيره، ولا أظلم منه.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ أي: تنزه وتعاظم عن شركهم به»[٣].

(٣)

لا ملك لأحد يوم القيامة إلا لله ﷻ

جاء في «الصحيحين»[٤] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله جلَّ وعلا.

ففي يوم القيامة يقبضُ اللهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ.

الله أكبر فمن تكون جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته ﷻ.

قال السندي رحمه الله: المقصود بيان عظمته - تعالى - وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام، بالإضافة إلى كمال قدرته[٥].

وقوله: «**أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**».

قال الإثيوبي رحمه الله يقول ﷻ: هذا إذلالًا لهم، وإظهارًا لعظمته ﷻ[٦].

(٤)

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

أخرج ابن أبي شيبه وغيره بسند صحيح[٧] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما السَّماوات السّبع في الكُرسيِّ إلَّا كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضٍ فلاةٍ، وفضلُ العرشِ على الكُرسيِّ كفضلِ تلك الفلاةِ على تلك الحلقةِ**».

الشرح:

دل الحديث على أن عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَتَجَلَّى في خَلْقِهِ الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش.

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحديث خرج مخرج التفسير لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش»[٨].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فما ظنك برب العالمين؟ فلا أحد يحيط به وصفًا ولا تخيلًا»[٩].

وقال: «العرش أكبر من السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم. السموات السبع، والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة»[١٠].

(٥)

وَصْفُ القَدَمِ للَّهِ عَزَّوَجَلَّ

جاء في «الصحيحين»[١١] مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ. وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ»**.

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته في عظمة القَدَمِ له - تبارك وتعالى - يضعها على النار؛ فينزوي بعضها على بعض أي: تتضايق فتمتلئ، وتقول: قط قط، يعني: يكفي يكفي، وقولها: «قط قط» دليل على عظمة الله الذي أنطق كل شيء.

نعوذ بالله من النار.

(٦)

وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

جاء في «الصحيحين»[١٢] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**».

الشرح:

دل الحديث على أن عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تتجلَّى في خلق العرش.

فقوله: «**رب العرش العظيم**» وقوله: «**رب العرش الكريم**» كلاهما وصف للعرش، وصف بأنه عظيم، وبأنه كريم، والعظمة تدل على الكبر والسعة، والكرم يدل على الحسن والجمال، والسعة[١٣].

قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وصف العرش بالعظمة، هو من جهة الكمية، وبالكرم، أي الحسن من جهة الكيفية، فهو ممدوح ذاتًا وصفةً»[١٤].

والعرش أكبر مخلوقات الله، وأوسعها، وأعظمها وأجملها على الإطلاق، فقد خص الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العرش بهذه الميزة العظيمة، وشرفه بها مع غيرها من الميزات، لكي يتناسب مع ذلك الشرف العظيم ألا وهو استواء البارئ عَزَّوَجَلَّ عليه)[١٥].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة:١٢٩]: «أي: وهو مالك كل شيء؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السماوات والأرضين، وما فيهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى»[١٦].

(٧)

حِجَابُهُ النُّورُ

جاء في «صحيح مسلم»[١٧] مِنْ حَدِيْثَ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ، وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله جَلَّ جَلَالُهُ وأن حجابه النور، وأن هذا النور لو كشفه؛ لأحرقت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ - (أي: بهاؤه، وعظمته، ونوره) ما انتهى إليه بصره من خلقه، وبصره ينتهي إلى كل شيء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كانت سُبُحَاتُ وجْهِهِ الأَعْلَى لا يقوم لها شيء من خلقه؛ لو كشف حجاب النُّور عن تلك السُّبُحَاتِ لأحْرَقَ العالم العُلويَّ والسُّفْلِيَّ، فما الظَّنُّ بجلالِ ذلك الوجه الكريم، وعظمته وكِبْرِيَائِهِ وكَمَالِهِ وجَلاَلِهِ وَجَمَالِهِ؟!»[١٨].

(٨)

رؤية الله ﷻ في الآخرة

جاء في «صحيح مسلم»[١٩] عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟**». قَالَ: «**فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته في جمال وجهه الكريم ﷻ فكما احتجب عن خلقه، في الدنيا بنار ونور، ولو كشف الحجاب لاحترقوا، فهو ينشئهم يوم القيامة النشأة الآخرى، يتحملون بها رؤية ربهم، فيكشف لهم الحجاب فلا نعيم أكمل، ولا أحسن، ولا ألذ، ولا أطيب، من النظر إلى وجهه الكريم - جلَّ وعلا - ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(٩)

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ

جاء في سنن ابن ماجه وغيره بسند حسن[٢٠] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن:٢٩] قَالَ: «**مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَخْفِضَ آخَرِينَ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله - جلَّ وعلا - وعظمته تَتَجَلَّى بأن كل الخلق مفتقرون إليه وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ أي: كل وقت من الأوقات.

«يغني فقيرا، ويجبر كسيرا، ويعطي قوما، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسماوات، وعم لطفه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه»[٢١].

(١٠)

جَرَى القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ

جاء في سنن الترمذي بسند صحيح من حديث[٢٢] عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعظمته تَتَجَلَّى في خلقه القلم، وأن كل شيء إلى قيام الساعة قد فرغ منه، وجَرْيُ به هذا القلمِ، من صغير وكبير، وغنى وفقر، وصحة ومرض، وكرب وفرج، وعسر ويسر، وشدة ورخاء، وخوف وأمن، وحياة وموت، وبعث نشور.

وكل ما هو كائن من أول الدنيا إلى آخرها، قد قدره الله وقضاه؛ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

(١١)

سعة رحمة الله بعباده

جاء في «الصحيحين»[٢٣] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله ﷻ وعظمته تَتَجَلَّى في سعة رحمته بعباده، فهو الرحمن الرحيم، ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي، وغمرت البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمته ﷻ وشمله فضله وإحسانه - جلَّ وعلا - لكن الرحمة المطلقة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، فهي خاصة بعباده المتقين المتبعين لأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام.

(١٢)

نَثْرَ ذُرِّيَّتِهِ آدَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ

جاء في مسند أحمد بسند صحيح[٢٤] مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ»، يَعْنِي عَرَفَةَ، «**فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا. قَالَ:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف:١٧٢، ١٧٣]».

الشَّرحُ:

دل الحديث على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَتَجَلَّى في خلقه، فقد أخرج ذرية آدم من صلبه الأولين والآخرين، وما ترك في ظهره أحدًا إلا وقد أخرجه مؤمنهم وكافرهم، فنثرهم بين يديه كالذَّرِّ ثم أخذ عليهم العهد: (ألست بربكم)؟ قالوا: بلى شهدنا، فقد شهدوا على أنفسهم بربوبية الله عَزَّوَجَلَّ وألوهيته، وأنه المستحق للعبادة وحده، وأنه الإله الحق وما دونه هو الباطل.

(١٣)

قُلُوبُ الْخَلْقِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

جاء في «صحيح مسلم»[٢٥] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**».

الشَّرحُ:

دل الحديث على عَظَمَةُ اللهِ ﷻ وعظمته تَتَجَلَّى في عِظَمِ قُدْرَتِهِ، وأن قلوب العباد ونواصيهم بيده، وما من قلبٍ إلا وهو بين إصبعين من أصابعه، إن شاء أن يُقيمَهُ أقامهُ، وإن شاء أن يُزيغهُ أزَاغَهُ، فالقلوب بيده، وهو مقلبها ومصرفها كيف شاء وكيف أراد.

وأَكْثَرُ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحْلِفُ بِهَذِهِ الْيَمِينِ: «**لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»[٢٦].

ومن دعائه ﷺ «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**».

(١٤)

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

جَاءَ فِي «الصحيحين»[٢٧] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ**».

الشَّرحُ:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ؛ وعظمته تَتَجَلَّى فِي عَظِمَ قُدَرَتِهِ، وأنه معنا بسمعه وبصره فقوله ﷺ: «**إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ**» أي: لا يخفى عليه شيء من خلقه، أحاط سمعه بجميع المسموعات، في العالم العلوي والسفلي، سرها وجهرها، فلا تختلط عليه الأصوات، على اختلاف اللغات، وتفنن الحاجات، السر والجهر عنده سواء ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد:١٠].

(١٥)

سَعَةُ عِلْمِ اللَّهِ

جاء في «الصحيحين»[٢٨] من حديث أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قال: «**قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ. فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ... فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى، مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تتجلَّى في سعة علمه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي: إلا بما شاء أن يطلعهم عليه ويعلمهم به وما أخفاه عنهم أعظم كما قال الخضر لموسى - وهما أعلم أهل الأرض في عصرهم -: «**يَا مُوسَى، مَا نَقَصَ مِنْ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ**».

وعلم الله لا ينقص بتعلم العباد، وإنما المقصود أن نسبة علمي وعلمك إلى علم الله؛ كنسبة ما علق بمنقار العصفور إلى البحر.

ويكفي أن ما يتكلم الله عَزَّوَجَلَّ به لو قدر أن البحر مداد يمده من بعده سبعة أبحر مدادًا، وأشجار الأرض كلها من أول الدهر إلى آخره أقلام يكتب بها ما يتكلم به الرب جَلَّ جَلَالُهُ لنفدت البحار، وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلماته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧].

(١٦)

سَعَةُ عَطَاءِ اللَّهِ ﷻ

جَاءَ فِي الصَّحِيْحِنِ[٢٩] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَدُ اللهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**» وَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**». وَقَالَ: «**عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله ﷻ وعظمته تَتَجَلَّى في سعة عطائه - جلَّ وعلا -، فذكر لنا رسول الله ﷺ أن يدا الله ملأى من العطاء، وأخبر أنه من كثرة إنفاقه ﷻ ليلًا ونهارًا من يوم خلق السموات والأرض، لم ينقص مما في يده شيئًا، وأخبر في حديث آخر يرويه عن ربه ﷻ في الحديث القدسي: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»[٣٠].

(١٧)

وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ

جَاء فِي «صَحِيحِ مُسْلِم»[٣١] مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعظمته عَزَّوَجَلَّ تَتَجَلَّى في خلقه ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾.

فقد ذكر لنا النبي ﷺ عن حجر كان يسلم عليه - بمكة قبل البعثة، فلا تعجب فقد أخبرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن كل من في السماوات ومن في الأرض؛ من حيوان ناطق، وغير ناطق، ومن أشجار ونبات، وجماد، وحي وميت، إلا وهو يسبح بحمده بلسان الحال ولسان المقال، ولكننا لا نفقه تسبيحه، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء:٤٤].

وما من شيء إلا وقد علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صلاته وعبادته بحسب حاله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور:٤١].

(١٨)

أطَّتِ السَّمَاءُ لِكَثْرَةِ مَا فِيْهَا مِنَ الْمَلائِكَةِ

جاء في مسند أحمد وغيره بسند صحيح[٣٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللهِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ**».

الشَّرحُ:

دل الحديث على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تَتَجَلَّى في كَثْرَةِ مَا فِيْ السماء من الْمَلائِكَة؛ حتى أَطَّتْ أي: أصدرت صوتًا كأطيط الإبل، وحق له أن تئط، أي: تصوت؛ لأنه مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ من الملائكة وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

(١٩)

وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ

أخرج ابن نصر المروزي في «الصلاة» بسند حسن[٣٣] مَنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَوْضِعِ قَدَمَ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَك سَاجد، أَوْ قَائم، وَذَلِكَ قَوْل الْمَلائِكَةَ:** ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات:١٦٤-١٦٦]».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تَتَجَلَّى في خلق الملائكة؛ فالسماء الدنيا بكل بقاعها، وأركانها، ما فيها؛ مَوْضِعِ قَدَمَ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَك سَاجد، أَوْ قَائم، يعبد الله، وما من ملك إلا وله مرتبة، ومنزلة معلومة، وكلهم صفوف عند ربهم يكملون الصف الأول فالأول، ويتراصون فيه ويسبحون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عما لا يليق به. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل:٥٠].

(٢٠)

وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ

جَاءَ فِي الصَّحِيْحِنِ(٣٣) مِنْ حَدِيْثِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «... **رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ...**».

الشَّرحُ:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تَتَجَلَّى في خلق الملائكة؛ فالبيت المعمور وهو في السماء السابعة، يدخله كلَّ يومٍ سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبدًا.

قال العلماء – رحمهم الله – هذا يدل على أن الملائكة أكثر المخلوقات؛ لا نه لا يعرف من جميع العوالم من ينجرد من جنسه في كل يوم سبعون ألفًا غير ما ثبت عن الملائكة فهم أكثر عددا لا يحصيهم إلا الذي خلقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

(٢١)

عدد الملائكة الموكلين بالنار

جَاءَ فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»[٣٤] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**».

الشَّرحُ:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تَتَجَلَّى فِي عِظَم خَلْقِ النّارِ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، يجرون جهنم ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ [الفجر: ٢٣] [ويَومئذٍ، أي: يومَ القِيامة].

و«**الزِمام**»، هوَ ما يُشدُّ بِه، و«**يَجرُّونَها**»، أي: يَسحَبونَها، فَلا يَبقى للجنَّةِ طَريقٌ إلّا الصِّراطَ على ظَهرِ جَهنَّم.

أعاذَنا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منها.

(٢٢)

وَصْفُ مَلَكٍ مِنَ المَلَائِكَةِ

أخرج أَبُو يَعْلى في مسنده[٣٥] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ مِنَ الأَرْضَ السَّابِعَةَ وَالْعَرْشُ عَلَى مِنْكَبِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيْنَ كُنْتَ وأَيْنَ تَكُونُ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تَتَجَلَّى في خلق مَلَكٍ مِنَ المَلَائِكَةِ فقوله: «مرقت رجلاه من الأرض السابعة أي: خرقتاها، وخرجتا من الجانب الآخر، والعرش على منكبه في السماء السابعة، وهو يسبح الله ويمجده.

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:١١].

(٢٣)

وَصْفُ ملك من حَمَّلةِ العَرْشِ

جَاءَ فِي سُنَنَ أَبِي دَاوُدَ[٣٦] مِنْ حَدِيْثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**».

الشَّرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تَتَجَلَّى في خلق الملائكة فقوله ﷺ «**أُذِنَ لِي**».

بالبناء للمفعول والآذن له هو الله. قاله المناوي رَحِمَهُ اللهُ وقال عند قوله ﷺ «**عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ**»: أي: عن صفاته وشأنه وعظم خلقه وقوله «**أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه**» من المسافة (مسيرة سبع مائة عام) أي: بالفرس الجواد كما في خبر آخر فما ظنك بطوله، وعظم جثته»[٣٧].

وقال عبدالمحسن العباد – حفظه الله –: «فإذا كان مابين شحمة أذنه إلى عاتقه سبع مائة عام، فكيف ببقية جسمه؟! أي فهو على ضخامة عظيمة لا يعلم كنهها وقدرها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[٣٨].

(٢٤)

عِظَمُ جُثَّةِ مَلَكٍ فِي صُورَةِ دَيْكٍ

أخرج الطبراني في «الأوسط»[٣٩] بسند صحيح من حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيْكٍ، قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الأَرْضَ، وَعُنُقِهِ تَحْتَ العَرْشِ، وَهُوَ يَقُوْلُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَرُدُّ عَلَيْهِ مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَذِبًا»**.

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته.

تَتَجَلَّى فِي عِظَمُ خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَالَ المُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ **«إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيْكٍ»** أَيْ: عَنْ عِظَمِ جُثَّةِ مَلَكٍ فِي صُورَةِ دَيْكٍ **«قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الأَرْضَ»** أَيْ: وَصَلَتَا إِلَيْهَا، وَخَرَقَتَاهَا، وَخَرَجَتَا مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ. **«وَعُنُقِهِ تَحْتَ العَرْشِ، وَهُوَ يَقُوْلُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ - زَادَ فِي رِوَايَة: رَبَّنَا - فَيَرُدُّ عَلَيْهِ»** أَيْ: فَيُجِيْبُهُ اللهُ الَّذِي خَلَقَهُ بِقَوْلِهِ: **«مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَذِبًا»**.

فَإِنَّهُ لَوْ نَظَرَ إِلَى كَمَالِ الْجَلَالِ وَتَأَمَّلَ فِي عِظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ الدَّالةِ عَلَى عَظَمِ خَالِقِهَا - لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى ذَلِكَ، فَالجَرَاءَةُ عَلَى اليَمِيْنِ الكَاذِبَةِ مَنْشَؤُهَا كَمَالُ الجَهْلِ بِاللهِ»[٤٠].

(٢٥)

عَظُمَ خَلْقِ جِبْرِيْلَ - عَلَيْهِ الصَّلاةِ والسَّلَام -

جاءفي «الصحيحين»(٤١) من حديث ابْن مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ.

الشَّرحُ:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تَتَجَلَّى فِي عَظُمَ خَلْقِ جِبْرِيْلَ - عَلَيْهِ والسَّلَام -.

فقد وصفه ﷺ بأنه له ستمائة جناح.

وجاء في «صحيح البخاري»(٤٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ. فقَالَ مسروق: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير:٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم:١٣]. فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**» أي: سدَّ ما بين السماء والأرض لعظم خلقه.

(٢٦)

وَصْفُ صَاحِبِ الصُّورِ

جَاء فِي مُسْتَدْرِكِ الحَاكِم[٤٣] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ طَرْفُ صَاحِبِ الصُّوْرِ مُنْذُ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌ، يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ**».

الشَّرحُ:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته - تَتَجَلَّى في هيئة ملك الصور، فَمُنْذُ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌ، يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُؤْمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ.

ومتى أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بموت (الأحياء) من الخلائق أمره أن ينفخ فيه؛ فينفخ نفخة عظيمة تفزع جميع الخلائق ويصعقون منها، ثم يموتون، ثم يمكث على ذلك مدة قدرها أربعون من غير تحديد بسنة أو شهر أو يوم (الله أعلم بمقدارها)، ثم ينفخ في الصور نفخة البعث فتعود أرواح المخلوقات إلى أجسادها فيخرج الناس من القبور سراعا إلى أرض المحشر.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزمر:٦٨].

(٢٧)

خوف الملائكة من ربهم

جاء في «صحيح البخاري»(٤٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟﴾ لِلَّذِي قَالَ: ﴿ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾** [سبأ: ٢٣]».

الشَّرحُ:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته تتجلى في خوف الملائكة منه - تبارك وتعالى - فالملائكة الكرام، يبلغ بهم الخوف، والخضوع والصعق، هذا المبلغ العظيم مع أنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦].

فهم من أعظم الخلق طاعة، وأشدهم خشية ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل:٥٠].

(٢٨)

سجود الشمس

جاء في «الصحيحين»[٤٥] من حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: «**أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته تَتَجَلَّى في سجود الشمس له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بل أنه يسجد له من في السموات ومن في الأرض من ذلك الشمس فهي تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً لربها - تبارك وتعالى -

وقوله «**تَحْتَ الْعَرْشِ**»: المراد وسط العرش؛ لأن العرش سقف المخلوقات كلها، وليس الشمس وحدها، وكل شيء تحته والله عَزَّوَجَلَّ فوق العرش.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].

(٢٩)

الخَسْفُ بِالجَيْشِ الذِي يَؤُمُّ البَيْتَ

جاء في «صحيح مسلم»[٤٦] مِنْ حَدِيْثِ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ، يَغْزُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَتَجَلَّى في حفظه لبيته الحرام، فكما حفظه من أصحاب الفيل فهو سيحفظه من غيرهم.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ «في آخر الزمان يغزو قوم الكعبة، جيش عظيم.

وقوله: «**حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ**»؛ أي: بأرضٍ واسعة مُتَّسعة، «**خَسَفَ اللهُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**»؛ خُسِفَت بهم الأرض، وساخوا فيها هم وأسواقهم، وكُلُّ مَن معهم.

وفي هذا دليل على أنهم جيش عظيم؛ لأن معهم أسواقهم؛ للبيع والشراء وغير ذلك؛ فَخْسِفُ الله بأولهم وآخرهم»[٤٧].

(٣٠)

قَبْضُ اللَّهِ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِيْنَ

جاء في «الصحيحين»[٤٨] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ نَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ،قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ**». فَقَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَتَوَضَّئُوا إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَضَّتْ، فَقَامَ فَصَلَّى.

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ ومن عظمته التفرد في التصرف بالعباد، حال يقظتهم، ونومهم، وحياتهم، وموتهم ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر: ٤٢].

(٣١)

إحياءُ الموتى

جاء في «الصحيحين»[٤٩] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللهُ مَالًا[٥٠]، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ. فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ. فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تتجلى في إعادة الخلق من تراب بكلمة واحدة والحديث جاء بلفظ آخر ففي مسند أحمد بسند صحيح[٥١] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ، فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا**». قَالَ: «**فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ. فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ خَشْيَتُكَ - أَوْ مَخَافَتُكَ - يَا رَبِّ. فَغَفَرَ لَهُ لِذَلِكَ**».

(٣٢)

حَالُ الأَرْضِ يَوْمَ القِيَامَةِ

جَاءَ. فِي «الصَّحِيْحِين»[٥٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ فالأرض التي نعيش عليها اليوم تصير يوم القيامة خبزة واحدة ياكل منها أهل الجنة وقت دخولهم.

وقوله: يتكفؤها الجبار أي: يقلبها من يد إلى يد ليسويها كما يفعل بالعجينة، إذا أريد خبزها مرققًا مستويًا، والله بقدرته يصيرها من جملة طعام أهل الجنة، والجنة فيها: «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!».

(٣٣)

عِظَمُ جُثَثِ أَهْلِ النَّارِ

جاء في سنن الترمذي بسند صحيح[٥٣] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تتجلى في عِظَمُ جُثَثِ أَهْلِ النَّارِ.

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «**إِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ**» أي: مثل مقدار جبل أحد «**وَإِنَّ مَجْلِسَهُ**» موضع مقعده «**مِنْ جَهَنَّمَ**» أي: فيها «**كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ**» أي: مقدار ما بينهما في المسافة، وسبق أن هذا مما تجول فيه الأفهام، وأنه يجب علينا التسليم واعتقاد ما قاله الشارع وإن لم تدركه عقولنا القاصرة، وليست أحوال الدنيا كأحوال الآخرة»[٥٤].

فأنت ترى أن لكافر في النار خلقه عظيم ومع ذلك يأتي العذاب فيحرقه ولو مات لأستراح لكن هيهات ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

(٣٤)

طُولُ المَسَافَةِ بَيْنَ مَنْكِبِي الكَافِرِ فِي النَّارِ

جَاءَ فِي «الصحيحين»(٥٥) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ، قَالَ: «**مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تَتَجَلَّى فِي طُولُ المَسَافَةِ بَيْنَ مَنْكِبِي الكَافِرِ فِي النَّارِ.

والمنكِب - بكسر الكاف - من الكتف إلى صفحة العنق «**فِي النَّارِ**» أي: نار جهنم، «**مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ**» في السير، وإنما عَظُم خلقه لَيَعْظُم عذابه، ويضاعَفَ ألمه، فتمتلئ النار منهم»(٥٦).

(٣٥)

شِدَّةُ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ

جَاءَ فِي «الصحيحين»(٥٧) مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**». قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وعظمته تَتَجَلَّى في شِدَّةُحَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ فقوله: «**نَارُكُمْ جُزءٌ من سبعينَ جزءًا من نار جهنَّمَ**»، أي: إنَّ نِسبةَ الطَّاقةِ الحراريَّةِ الموجودةَ في نارِ الدُّنيا كنسبةِ جُزءٍ إلى سبعينَ جزءًا من حرارةِ نارِ جهنَّمَ، فلمَّا سمِع ذلك بعضُ الصَّحابةِ قال: يا رسول الله، إنْ كانتْ لَكافيةً، أي: إنَّ نار الدُّنيا كانتْ كافيةً في الإحراق، مُجزِئةً في الإيلامِ، فقال ﷺ: فُضِّلَتْ عليهنَّ بتسعة وستِّينَ جزءًا، أي: إنَّ نارَ الآخِرة تَزيدُ قوَّةُ حرارتِها عن حرارةِ نار الدُّنيا بتسعةٍ وستِّينَ جزءًا، (كلُّهن مِثلُ حَرِّها)، أي: كلُّ جزء منها يُعادِلُ حرارةَ نارِ الدُّنيا كلِّها، بحيث إنَّه لو جُمِعَ حَطَبُ الدُّنيا وأُوقِدَ كلُّه حتَّى صار نارًا، لكان الجزءُ الواحد من أجزاءِ نارِ جهنَّمَ الذي هو سبعونَ جزءًا – أشَدَّ منه.

(٣٦)

عِظَمُ خَلْقِ النَّارِ وعُمْقُ قَعرِها

جاء في «صحيح مسلم»[٥٨] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ سَمِعَة وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تَتَجَلَّى فِي عِظَمُ خَلْقِ النَّارِ وعُمْقُ قَعرِها، فبينما رَسولِ اللهِ ﷺ، مع بعض أصحابه إِذ سَمِعَ وَجبةً، وَهيَ السَّقطةُ مِن عُلوٍّ إلى أَسفلَ بصَوتٍ مُزعجٍ كصَوتِ الهَدمِ، فسألَ النَّبيُّ ﷺ مَن مَعه (تَدرونَ ما هذا؟) فقالوا: اللهُ ورسولُه أَعلمُ، فقال: هذا حَجرٌ رُمِيَ به في النَّارِ منذُ سَبعينَ خريفًا، فهوَ يَهوِي في النَّارِ حتَّى انتَهى إلى قَعرِها.

(٣٧)

وَصْفُ خِيَامِ الجَنَّةِ

جَاءَ فِي «الصحيحين»[٥٩] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي مُوسى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ تَتَجَلَّى فِي صورةٍ مِنْ صُوَرِ نَعيمِ أهلِ الجنَّةِ، وهيَ أنَّ لِلمؤمنِ في الجنَّةِ خَيمةً مِن لؤلؤةٍ مُجوَّفَةٍ، أي: ما بداخلِها مثقوبٌ مفرَّغٌ، عرْضُها سِتُّون ميلًا، في كلِّ ناحيةٍ منها أهلٌ لِلمؤمنِ السَّاكنِ فيها لا يراهمُ الآخَرونَ؛ لِعظمِ سَعتِها.

(٣٨)

مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

جَاءَ فِي «صَحِيْحِ البُخَارِيِّ»[٦٠] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أُرَاهُ: فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ - وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»**. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ: **«وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»**.

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ

وعظمته تَتَجَلَّى في عظيم ما أعد للمجاهدين من جزيل الثواب ورفيع المقام في الجنة، وعظم الجنة، وما فيها من نعيم أعد للمجاهدين في سبيله.

وعظم منازل الجنة وأنها درجات، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة، ومن فوقها عرش الرحمن.

وكل امرئ يأخذ مكانه فيها على قدر عمله، ورحمة الله واسعة، وجوده أعظم فأنزل فيها من سأل الشهادة بصدق ففي «صحيح مسلم»[٦١] مِنْ حَدِيْثِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ - رَضِيَ اللهُ - أنه قَالَ سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُوْلُ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ.

(٣٩)

وَظِلٍّ مَمْدُودٍ

جَاءَ فَي «الصَّحِيْحِيْنِ»[٦٢] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾** [الواقعة: ٣٠]».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ.

وعظمته تَتَجَلَّى في عظيم خلقه، وجوده وكرمه، فقوله ﷺ: «**في الجنَّةِ شَجرةٌ**»، قيل: هي طُوبى، أو سِدْرةُ المُنْتهى، أو شَجرةُ الخُلْدِ، «**يَسيرُ الرَّاكبُ في ظِلِّها**»، أي: يَمْشي الرَّاكبُ برَكوبَتِه في ذُراها ونَعيمها وناحيتِها، وفي روايةِ الصَّحيحينِ[٦٣] من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ: «**يَسيرُ الرَّاكبُ الجَوادَ المُضَمَّرَ السَّريعَ مائةَ عامٍ، لا يقطَعُها**»، أي: لا يصِلُ إلى نِهايتِها مع سَيرِه هذه المدَّةِ؛ مُبالغةً في امتدادِ ظِلِّها، «وقال: ذلك الظِّلُّ المَمدودُ»، أي: فذكَرَ تَصديقَ المذكورِ في القُرآنِ في قولِه تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾؛ فالجنَّةُ كلُّها ظِلٌّ لا شمْسَ معه، وليس هو ظِلَّ الشَّمسِ، بلْ ظِلٌّ يخلُقُه اللهُ تعالى، وإلَّا فالظِّلُّ في عُرْفِ أهْلِ الدُّنيا: ما يَقِي من حَرِّ الشَّمسِ وأذاها، وقد قال تَعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: ١٣]، وقد يُقال: المُرادُ بالظِّلِّ هنا ما يُقابِلُ شُعاعَ الشَّمسِ، ومنه ما بين ظُهورِ الصُّبحِ إلى طُلوعِ الشَّمسِ؛ ولذا قال تَعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾.

(٤٠)

أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً

جَاءَ فِي «الصحيحين»[٦٤] مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى. فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى. فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ؛ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟**» فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُوْلُ: «**ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً**».

الشرح:

دل الحديث على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ وجوده وكَرَمِه على عِبادِه، فأَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً معه مِثْلَ الدُّنيا وعَشَرةَ أمثالِها!

فقد ذَكَر رَسُولَ اللهِ - فقوله: ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ**» بما علَّمه اللهُ «**آخِرَ أهلِ النارِ خروجًا منها، وهو نفْسُه آخِرُ أهلِ الجنَّةِ دخولًا، ولقِلَّة عَمَلِه يَخرُج من النارِ أو الصِّرَاطِ وهو يَحبُو، فيَسقُط فيَحبُو، فلمَّا نُجِّيَ من النارِ قال اللهُ تعالى له: اذْهَبْ فادخُلِ الجنَّةَ، فيأتيها، فيُخَيَّلُ إليه أَنَّها مَلْأَى** (لكثرةِ مَن يراهم فيها، ولِمَا يَجهَلُه مِن اتِّساعِها)، **فيَرجِع فيقول: يا ربِّ، وجدتُها مَلْأَى، فيقول: اذْهَبْ فادخُل الجنَّةَ، فيأتيها فيُخيَّلُ**

إليه أنَّها مَلْأَى، فيرجِع فيقول: يا ربِّ، وجدتُها مَلْأَى، فيقول: اذهَبْ فادخُلِ الجنَّةَ؛ فإنَّ لك مِثْلَ الدُّنيا وعَشَرةَ أمثالِها، أو: إنَّ لك مِثْلَ عَشَرَةِ أمثالِ الدُّنيا، فلم يتصوَّرْ كيف سيكونُ له مِثلُ هذا النعيمِ في هذه الجنَّةِ الَّتِي خُيِّل له أنَّها مَلْأَى، فقال لشِدَّةِ الذُّهولِ: **تَسْخَرُ مِنِّي، أو: تَضْحَكُ منِّي وأنتَ المَلِكُ؟!**

فظنَّ أنَّ الله تعالى يَسْخَرُ منه؛ لِمَا كان منه مِن تَقصيرٍ استوجَبَ كونَه آخِرَ أهلِ الجنَّةِ دُخولًا، قال ابنُ مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضَحِك حتَّى بدَتْ نَواجِذُه، تعجُّبًا وسُرورًا، والنواجِذُ من الأسنان: هي الضَّوَاحِكُ، وهي الَّتِي تَبدُو عند الضَّحِك، وَكَانَ يَقُوْلُ: **ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً**، كما ثبَت ذلِك في مسلمٍ(٦٥)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأوَّله: «**أَدْنَى أهلُ الجنةِ منزلةً رجلٌ صَرَفَ اللهُ وجهَه عن النَّارِ...**» وساق القِصَّة -: ذلك أَدْنَى أهلِ الجنَّةِ مَنزلةً.

الخاتمة

بعد هذا التطواف معك أرجو أن تكون قد استفدت، وأن كان ما ذكرته قليلًا من كثير، لكن يكفيك من الزاد ما يبلغك المحل، ولو أنك تقرأ منه كل يوم حديث على أهلك وألادك، وفي مجالس الذكر، وعقب الصلاوات، وتحضر منه الخطب والمحاضرات؛ فقد قال رسول الله ﷺ «**الدَّالَّ على الخَيْرِ كَفاعِلِهِ**»(٦٦).

وقال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(٦٧).

وقال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»(٦٨).

جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

الفهرس

(١) رواه البخاري (٧٤٥١)، ومسلم (٢٧٨٦)، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد (٧٢/ ٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٤٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٩/ ١٢).

(٣) تفسير السعدي (٧٢٩)

(٤) رواه البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٥) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٨٣/ ١).

(٦) البحر المحيط الثجاج (٣٢٣/ ٤٣).

(٧) أخرج ابن أبي شيبة في «العرش» (٨٥) واللفظ له، وابن حبان (٣٦١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٦٧/ ١) بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٩)

(٨) «موسوعةالعقيدة» (٩٨/ ٩).

(٩) «الفتاوى» (٩٤٥/ ١٠).

(١٠) «شرح رياض الصالحين» (٣٤٧/ ٣).

(١١) رواه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨)، واللفظ له.

(١٢) رواه البخاري (٧٤٢٦)، ومسلم (٢٧٣٠)

(١٣) شرح كتاب التوحيد للغنيمان (٣٤٤)

(١٤) شرح الكرماني على البخاري (١٤٩/ ٢١).

(١٥) العرش وما روى فيه لابن أبي شيبه (٨٨) تحقيق محمد بن خليفة التميمي.

(١٦) تفسير ابن كثير (٤٥١/ ١).

(١٧) رواه مسلم (١٧٩).

(١٨) «الصواعق المرسلة» (١٠٨٢/ ٣).

(١٩) رواه مسلم (١٧٩).

(٢٠) أخرجه ابن ماجه (٢٠٢)، وابن حبان (٥٢/ ٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٩/ ١)، وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» (٣٠١).

(٢١) تفسير السعدي (٨٣٠)

(٢٢) أخرجه الترمذي (٢١٥٥)، والضياء (٤٢٩) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٧).

(٢٣) رواه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢) واللفظ له.

(٢٤) أخرجه أحمد (٢٧٢/ ١)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٧)، والحاكم (٥٤٤٢/ ٢) وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٢٣).

(٢٥) رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٢٦) رواه البخاري (٦٦١٧)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢٧) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤)، واللفظ له.

(٢٨) رواه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠)

(٢٩) رواه البخاري (٤٦٨٤) واللفظ له، ومسلم (٩٩٣).

(٣٠) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٣١) رواه مسلم (٢٢٧٧)

(٣٢) أخرجه أحمد (١٧٣/ ٥)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، واللفظ له وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٦٩).

(٣٣) أخرجه ابن نصر المروزي في «الصلاة» (٤٤/ ١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٠٥٩).

(٣٣) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) واللفظ له.

(٣٤) رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٣٥) أخرجه أبويَعْلَى في مسنده (٤٩٦/ ١١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٠) وصححه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند» (٤٦٦٠)

(٣٦) أخرجه أبو داود (٣٧٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٥٤)، وحسنه شيخنا الوادعي في «الصحيح المسند» (٤٦٩٥).

(٣٧) فيض القدير (٤٥٨/ ١)

(٣٨) شرح سنن أبي داود (١٩٥/ ٢٧).

(٣٩) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٥٠٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣١/ ١).

(٤٠) التفسير بشرح الجامع الصغير (٤٩٣/ ١)

(٤١) رواه البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤).

(٤٢) رواه البخاري (٤٨٥٥).

(٤٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٨٦٧٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٧٨)

(٤٤) رواه البخاري (٤٨٠٠)

(٤٥) رواه البخاري (٧٤٣٣)، ومسلم (١٥٩)، واللفظ له.

(٤٦) رواه مسلم (٢٨٨٣).

(٤٧) شرح رياض الصالحين (٢٩/ ١).

(٤٨) رواه البخاري (٧٤٧١) - واللفظ له -، ومسلم (٦٨١).

(٤٩) رواه البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٧).

(٥٠) رَغَسَهُ اللهُ مَالًا: أي: كَثَّرَهُ لَهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِيْهِ.

(٥١) أخرجه أحمد (٧٦٤٧)

(٥٢) رواه البخاري (٦٥٢٠) واللفظ له، ومسلم (٢٧٩٢)

(٥٣) أخرجه الترمذي (٢٥٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١١٤)، وشيخنا الوادعي في «الصحيح المسند» (١٣٩٧).

(٥٤) فيض القدير (٤٦٠/ ٢).

(٥٥) رواه البخاري (٦٥٥١)، ومسلم (٢٨٥٢).

(٥٦) فيض القدير للمناوي (٤٣٤/ ٥)

(٥٧) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) واللفظ له.

(٥٨) رواه مسلم (٢٨٤٤).

(٥٩) رواه البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨)

(٦٠) رواه البخاري (٧٤٢٣)

(٦١) رواه مسلم (١٩٠٩)

(٦٢) رواه البخاري (٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٦) مختصرًا.

(٦٣) رواه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).

(٦٤) رواه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

(٦٥) رواه مسلم (١٩٣).

(٦٦) أخرجه الترمذي (٢٦٧٠) عَن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٠٥)

(٦٧) رواه البخاري (٣٤٦١) عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦٩) رواه مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفهرس

المقدمة ٥
(١) وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ٧
(٢) الأرضُ قبضتُهُ يومَ القيامةِ والسَّماواتُ مطويَّاتٌ بيمينِهِ ٨
(٣) لا ملك لأحد يوم القيامة إلا لله ﷻ ١٠
(٤) وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ١١
(٥) وَصْفُ القَدَمِ للهِ عَزَّوَجَلَّ ١٢
(٦) وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ١٣
(٧) حِجَابُهُ النُّورُ ١٤
(٨) رؤية الله ﷻ في الآخرة ١٥
(٩) كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ١٦
(١٠) جَرَى القَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ١٧
(١١) سعة رحمة الله بعباده ١٨
(١٢) نَثْرَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ ١٩
(١٣) قُلُوبُ الْخَلْقِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ٢٠
(١٤) وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ٢١
(١٥) سَعَةُ عِلْمِ اللهِ ٢٢
(١٦) سَعَةُ عَطَاءِ اللهِ ﷻ ٢٣
(١٧) وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ٢٤
(١٨) أَطَّتِ السَّمَاءُ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ٢٥
(١٩) وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ٢٦
(٢٠) وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ٢٧

(٢١) عدد الملائكة الموكلين بالنار..... ٢٨
(٢٢) وَصْفُ مَلَكٍ مِنَ المَلَائِكَةِ..... ٢٩
(٢٣) وَصْفُ ملك من حَمَّلةِ العَرْشِ..... ٣٠
(٢٤) عِظَمُ جُثَّةِ مَلَكٍ فِي صُورَةِ دَيْكٍ ٣١
(٢٥) عَظُمَ خَلْقِ جِبْرِيْلَ - عَلَيْهِ الصَّلاةِ والسَّلَام - ٣٢
(٢٦) وَصْفُ صَاحِبِ الصُّورِ..... ٣٣
(٢٧) خوف الملائكة من ربهم ٣٤
(٢٨) سجود الشمس ٣٥
(٢٩) الخَسْفُ بِالجَيْشِ الذِي يَؤُمُّ البَيْتَ ٣٦
(٣٠) قَبْضُ اللهِ أَرْوَاحُ المُؤْمِنِيْنَ..... ٣٧
(٣١) إحياءُ الموتى ٣٨
(٣٢) حَالُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ ٣٩
(٣٣) عِظَمُ جُثَثِ أَهْلِ النَّارِ ٤٠
(٣٤) طُولُ المَسَافَةِ بَيْنَ مَنْكِبِي الكَافِرِ فِي النَّارِ..... ٤١
(٣٥) شِدَّةُ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ ٤٢
(٣٦) عِظَمُ خَلْقِ النَّارِ وعُمْقُ قَعرِها ٤٣
(٣٧) وَصْفُ خِيَامِ الجَنَّةِ..... ٤٤
(٣٨) مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ٤٥
(٣٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ..... ٤٦
(٤٠) أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً..... ٤٧
الخاتمة..... ٤٩
الفهرس ٥١
الفهرس..... ٥٥